

عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 50 / 1 حزيران 2015

تدمر بالأسود

ملف

3ayn-almadina.com

facebook.com/3aynAlmadina

عدسة نبيل الإبراهيم



طعنة داعش في ظهر حلب

داعش تعلن معركتها للسيطرة على ريف حلب الشمالي، وتقتصف مدينة مارع، مسقط رأس الشهيد عبد القادر الصالح، فيما تتلاحق منشورات الصفحات الحلبية المؤيدة للنظام، محتفياً بهذا الهجوم بنشوةٍ مضطربةٍ تبرز حتى حماسة أنصار داعش أنفسهم!

ما الذي يفعله هذا التنظيم حقاً؟!!!

لن نتورط في تأكيد وجود التنسيق والعلاقة المباشرة بين داعش والنظام، وهو ما لم تقم عليه أدلة قاطعة، وإن أشارت إليه حوادث ميدانية عديدة، كما في تكامل قصف طيران الأسد لمدن وبلدات الريف الشمالي لحلب مع هجوم التنظيم عليها الآن؛ ولكن الخدمة التي قدمها هذا الهجوم لقوات النظام المتهاككة ليست محل نقاش.

فمنذ انتصارات الثوار في إدلب والأعين ترنو إلى حلب، التي شكّلت فيها غرفة عمليات خاصة لتحرير ما تبقى من أحياء مدينتها تحت سيطرة النظام. وعملت هذه الغرفة على جمع الفصائل وتوزيع المهام، ولم يكن الغطاء الإقليمي والدولي بعيداً عنها. وقيل الكثير عن المؤازرة التي سيقدمها جيش الفتح الإقليمي، أو فصائل وازنة منه، لمعركة حلب المرتقبة، عند انتهائه من السيطرة على محافظته. هكذا إذا... فور تحرير أريحا أعلنت داعش هجومها على ريف حلب، لتستنزف جهود أبنائه الذين اضطروا إلى التوافد لتعزيز هذه الجبهة، مؤجلين معركتهم حتى تأمين ظهورهم من رصاصة الغدر الجاهزة دوماً في غرفة إطلاق داعش؛ في الرقة ودير الزور والقلمون واليرموك درعا وحلب... وفي كل مكان تبدو فيه الثورة منتصرة وقواتها تتقدم.

تدرّك داعش أن نظام الأسد صار من التاريخ. ولذلك تتعامل معه كخريبت عملاق نازفٍ ومحتضر، تهاجمه ضباعها لتقتات منه ما يغذي حروبها الخسيسة ضد الثوار، من نفضٍ وغازٍ وذخيرةٍ غنمتها في تدمير لتنقلها إلى ريف حلب، متجنبةً جبهات حمص مع النظام وقوات من تسميهم «الرافضة» في القلمون و«الملاحدة» في تل أبيض. فهدفها الملح الآن هو منع انتصار الثورة الذي لاحت معالمه بقوة في إدلب وكادت أن تثمر في حلب.

بهذا الهجوم تتفوق داعش على نفسها في الدناءة. وتثبت لكل ذي قلب سليم أنها شرٌّ مطلقٌ على الثورة وعلى السوريين. ومن لم يصدّق بعد فليتابع أخبار هذه المعركة كما تنقلها الصفحات الموالية للأسد وحلفائه.

- 3 انتصارات إدلب، نحو مرحلة جديدة في الثورة
- 4 داعش وتجارة الأمبيرات في الميادين
- 6 مواطن الدرجة الأولى (3)
- 7 حظر تجوال
- 8-9 من حقل العمر.. روايات حول مقتل أبو سيفان
- 10-11 التنقيب عن آثار الريف الغربي لدير الزور
- 12 الليرة السورية تطلق زفراتها الأخيرة
- 19 لوين رايعين بعد أريحا؟



انتصارات إدلب، نحو مرحلة جديدة في الثورة

يسقط النظام إن انتصر الثوار في الساحل أو دمشق

■ هيئة التحرير

ستنتقل الهزائم العسكرية الأخيرة التي منيت بها قوات الأسد الصراع إلى مرحلة جديدة يبدو أن النظام أخذ في الاعتراف بها كواقع جديد سيعمل على التكيف مع معطياته للحفاظ على معاقله الأخيرة في الساحل والعاصمة دمشق والشريط الممتد بينهما.

إدلب، بواسطة صواريخ (التاو) الموجهة التي كانت أحد العوامل الحاسمة في المواجهات. ولا يبدو أن هيئة أركان الأسد ومستشاريه الأجانب في وارد التغلب عليها خلال وقت قريب. ورغم الدمار الهائل الذي تلحقه الطائرات الأسديّة في المدن المحررة، ورغم ما قامت به هذه الطائرات من تأمين غطاء جوي لأرتال المؤازرة، إلا أنها لم تخلق فارقاً كبيراً يغيّر من مجريات المعارك أو نتائجها. بل إنها لم تخفّف، إلا بقدر ضئيل، من فعالية الحصار في كلّ مرّة تعزل فيها إحدى حاميات الأسد في أحد المواقع.

سياسياً:

فشلت السياسة الانتهازية التي اتبعها نظام بشار تجاه المجتمع الدولي، بتخويف العالم من خطر «الإرهاب» ومطالبته بوكالة حصرية لمواجهة. ولم تحدث أية صفقة تضمن بقاء الأسد، رغم التراخي والإشارات المتناقضة التي تبديها الإدارة الأمريكية بين حين وآخر. بالتزامن مع فشل رهان النظام على انضراط عقد المحور الأشدّ تأييداً للثورة السورية، أو تراخي أيّ من دوله في هذا الشأن. إذ لم تخفّف السعودية أو قطر أو تركيا أو فرنسا من مواقفها من النظام، بل، على العكس، عملت هذه الدول، ولأوّل مرّة منذ اندلاع الثورة، على توحيد جهودها وتنسيق آليات عملها في دعم الثوار.

نفسياً:

إن الانكسارات الأليمة والمتتالية لقوات الأسد خلال الشهرين الأخيرين، وما رافق ذلك من عجز النظام عن الوفاء بأيّ من وعوده، وأهمها الوعد الذي أطلقه رأس النظام باسترجاع السيطرة وفك الحصار عن جنوده في مشفى جسر الشغور، وكذلك قوافل التوايبت المنقولة إلى قرى وبلدات الساحل السوري؛ كلّ ذلك دفع مؤيدي الأسد إلى حافة من اليأس وانعدام الثقة نهائياً في قدرة النظام على إحراز انتصارات هامة. وربما يتحوّل هذا اليأس، في القريب العاجل، إلى سلوكٍ لن يكون مؤيداً للثورة بطبيعة الحال، ولكنه سيدفع من تبقى من شبان الساحل إلى عدم الزجّ بأنفسهم في المحرقة.

كانت النتائج التي حققها جيش الفتح، بطرده قوات الأسد من أريحا، وقبلها جسر الشغور وإدلب، والمعارك الممهّدة واللاحقة لها، باهرة إلى حدّ كبير. إذ جعلت من الجغرافيا الثمينة للنظام، في كل من جبال الساحل وسهل الغاب، مكشوفة لهجمات الثوار. مما يجبره على اتخاذ أجزاءها الطرفية خطوط دفاع أولي، وربما أخيرة، عن القرداحة التي يراها معظم مؤيدي النظام عاصمةً معنويةً له.

وفي أيّ وقت يراه الثوار مناسباً، قد تشتعل جبهات الساحل أو جبهات الجنوب صوب دمشق، وهما الجبهتان الأشدّ أهميةً على الإطلاق، فهزيمة الأسد في أيّ منهما تعني خسارته النهائية للحرب. فيما تحمل الانتصارات المحتملة للثوار على جبهات حلب وريف حماة الشمالي وحووران وما تبقى للأسد في إدلب، مؤكّداً إضافياً على فقدان نظام الأسد لزمّام المبادرة وفشله في جوانب عدّة.

عسكرياً:

بدأت الخسائر البشرية الكبيرة المتلاحقة في صفوف جيش الأسد غير قابلةٍ للتعويض، وخاصّةً لدى حاضنته الشعبية المتمثلة في أبناء الطائفة العلوية الذين شكّلوا رأس حربة قواته المتضامنة لطيف ديني وعرقياً متنوعاً في عديدها. وتكشف الحملات الأخيرة لحضّ الشبان على الائتحاق بـ «الجيش»، والأرقام المسربة عن عدد المتخلفين عن الخدمة الإلزامية والاحتياطية، عن النقص العددي الكبير الذي تعاني منه قوات الأسد، والذي لم تخفّف منه -إلا بقدر محدود وفي مناطق بعينها- قوات حزب الله اللبناني والمليشيات الشيعية الأخرى متعدّدة الجنسيات. مع الإشارة إلى الفضل الذريع الذي منيت به هذه القوات في هجومها على جبهات الجنوب، في درعا والقنيطرة، وجبهات الشمال في حلب، رغم التحشيد والإصرار من جانب هذه القوات في كلا الهجمتين. ولم يكن لمجاميع الشبيحة المنضوين فيما يسمّى بالدفاع الوطني أو المقاومة السورية، وغير ذلك، أدنى تأثير في غالب الحالات، إن لم تكن قد تركت تأثيراً سلبياً في بعضها. خسارة عسكرية أخرى منيت بها قوات الأسد، تمثلت في العدد الهائل للمدركات التي دمرها الثوار، وخاصّةً في معارك

بعء السآطرة على مآزون اللقآحات فآ المآفظة..

ءاعش ٱطلق ءملة لقآء السل للأطفال فآ ءآر الزور

آنآن سلآمان



منذ أآام؁ أطلق ما ٱسمى «ءآوان الصآة»؁ الابع للآنظآم ءاعش؁ ءملة لقآء مرض السل للأطفال فآ مآفظة ءآر الزور. وبعء هءه ءملة هآ الابع من نوعها الآآى سمآ بها الآنظآم فآ «ولآة الآآر»؁ بعء ءملة الآنظآم ضء مرض شلل الأطفال الآآى بعءآ فآ مطلع آءار المآضآ واستمرآ قرآبة الأسبوع.

الصآة الآركآة ومنظمة الصآة العالآة للآنآلاف الوطنآ المآراض وللمنظمات الطآبة العالمة فآ الءآل؁ كضرق اللقآء المآطوع مع منظمة الرصد الوباءآ؁ بالآضافة إلى ما بقآ من مآزون اللآنة الطآبة السابقة المشرفة على ءملآة قبل ءآول ءاعش إلى ءآر الزور ومنعه عمل ءمع المنظمات الإآآآة والطآبة فآ المآفظة وفآ المناطق الآآى سآطر علآها. فآ آآن تم اسآثناء العالمن فآ اللآنة الطآبة؁ شرط تسلآمهم كآفة مآزونآ اللقآحات والمبالغ الءوءة للآنظآم؁ الآآى سآآولآ الإشراف على ءملآة. والءآآر بالءكر أن «ءآوان الصآة» قء منع ءملة الآنظآم النآآة ضء شلل الأطفال؁ والآآى كان من المآترض أن تبءآ فآ 16 نآسان المآضآ؁ بآآة فآص اللقآحات.

وعمد الآنظآم إلى الاسآفآة من آلآة عمل مراكز اللقآء الآآى تم إنشاؤها فآ المرحلة الآآى سبقت سآطرته على المآفظة؁ وٱقءر عءءها بء 20 مركزآ. وتم توزآع قسم من فرق اللقآء والمآطوعآن على القرآ والمناطق الآآى لا آآوآ مراكز صآآة؁ مآلما عمل به فآ الفآرآة سآبقة. وقء بلغ عءء المآطوعآن فآ ءملة الآآآرة قرآبة الء00؁ ءآالآآهم ممرضون من السلآ الطآبآ السآبق.

وآتم عملآة اللقآء عبء 7 ءولآ؁ تسلّم كل ءولآة 20 ألف فآالآة «أمبولآة»؁ وآكفآ كل فآالآة 20 طفلا. وقءر بعض العالمن فآ فرآق المآطوعآن عءء الأطفال الآآن شملهم اللقآء بقرآبة 159 ألف طفل.

وفآ الءآآ من مصدر اللقآحات ءكر آءء الأطفاء المشرفآن على ءملة أن معةمها لقآحات سبق أن قءمآها وزارة

مبلغ 2000 ل. س كضرقآة على كل منزل شهراً مآبل آأمآن الكهراء. وبعء هءا المبلغ كآبراً بالآآاس إلى كمة الكهراء الآآى فآصل علآها الآنظآم من النظام؁ بآسب ما أفاء آءء المهندسآن المشرفآن على المشروع.

وفآ آال انآهاء المشروع وآطآبقه فآنه سآؤثر سلأاً على آآار الأمبآرات (أصآاب المولءآة ذات الاسآطاعة العالآة) الآآى اسآآءمت فآ الأشهر الآآآرة لآءمة آآآاء المآنة؁ وقء يؤءآ إلى آوقفها عن العمل نهآآباً. وقء لآأ سآان المآآآن إلى الاعآماء على الكهراء المآآوءة من آلك المولءآة لآآاوز مشآلة انقضاع الآآار الكهراءآى المسمرة؁ ولأن كهراء الأمبآرات آلبآ آآآآات الأءوات الكهراءآة الضرورة كالمءافآ والمآآآات. وآآراوآ أسعار المولءآة ذات الاسآطاعة العالآة بآن ملبون إلى 5 ملبآن لآرة؁ آبعاً لاسآطاعآها. آضاف إلى ذلك آكالآف آمءآء الكابلات والقواطع؁ والآآى آآراوآ بآن نصف ملبون وملبون لآرة. وآسآهلك كل مولءة برمآلاً من المآزوت فآ الءوم؁ على الأقل. وآشآر الآقءآرات المآآة إلى أن عءء العالمن والمسآفآآن من مهآة آآارة الأمبآرات فآ المآنة فآصل إلى المآآ؁ إء بآلغ عءء المولءآة ذات الاسآطاعة العالآة آحو 200؁ فآآآ كل منها قرآبة الء200 منزل. وقء سبق أن فرض الآنظآم على آآار الأمبآرات سعراً موآءاً هو 1200 لآرة سورآة شهراً لآل أمبآر. فرآ الكآآر من سآان المآآآن أن ساعة كهراء وآءة فومبآ؁ فآمكنون آلالها من قضااء آآآآآهم المنزلىة؁ أفضل بآآآر من أربع ساعات لا آكفآ لآشآل ما فآمكن من آلاله مآقاومة آرارة الصآف اللاهبة.

ءاعش وآآارة الأمبآرات فآ المآآآن



مآرال السالم

منذ مطلع شهر آبار؁ عمل ما ٱسمى «مآآب الآءماآة الإسلامآة»؁ الابع للآنظآم؁ على إعآاءة توزآع كهراء مآنة المآآآن.

وكان الآنظآم قام مؤآراً بآركآب قاطع كهراءآى بقدرة 10 أمبآر فآ كل منزل فآ المآنة؁ بعءف آآفآض الاسآهلاك المنزلى. لآشمل إعآاءة توزآع الآآار الكهراءآى كل المنازل وبشآل مآساو فآ كمة الأمبآرات المسآهلكة.

لا آآاوز آصة المآآآن من الكهراء الء30 مآفا واط آالآاً. وهآ آصة لا آكفآ لآشآل الكهراء فآ المآنة لآكثر من ساعة وآءة مآبل ثمانآ ساعة من القاطع على مدار الء24 ساعة. فآ آآن فآآق المشروع الءآآء 12 ساعة كهراء فومبآ؁ أربعاً آلال النهار وثمان لآلا؁ لآن بآوءة فرآ منآظمة قء آعآر عن آلبآة الآآآآات الأساسية للمنازل. وقء فرض الآنظآم

من سيرة نפט دير الزور بعد الثورة الجيش الحرّ والعشيرة

(مادة مأخوذة من دراسة عن النفط في المحافظة، منذ خروجه ومنشأته عن سيطرة النظام وحتى الآن. أعدّها فريق من الباحثين. وتصدر قريباً عن «عين المدينة»)



في قيام أشخاص أو عائلات بثقبها لسحب كميات من النفط المارّ فيها إلى حفر كبيرة تُنشأ بجوار الثقوب وتستعمل كخزانات مكشوفة يبيع منها «مالكو الثقوب» النفط للتجار، ليحققوا بذلك أرباحاً طائلة. مما أسهم في زيادة العقوبات أمام وزارة النفط، ومفوضيتها من سمسرة ومنتمين محليين إلى شبكة مخبرات النظام، في إغراء مهاجمي الأنابيب بعقود الحماية.

وقد أدى ارتفاع معدّل الهجمات، واتساع النطاق الجغرافي لها، إلى تراجع تدريجيّ متسارع في كميات النفط الصادرة عبر خطوط النقل إلى خارج المحافظة، ليبلغ حدوده الدنيا في نهاية العام 2012. وبحسب تقرير خاص لتقييم الأضرار أعدّه فنيوشركة الفرات عن الاعتداءات التي طالت أنابيب الشركة بأنواعها وأقطارها المختلفة، بلغ عدد هذه الاعتداءات 912 اعتداءً حتى آب 2013.

والموادّ والتجهيزات اللازمة لأعمال الخدمات الرئيسية في هذه المناطق.

3- إطلاق سراح بعض المعتقلين من سجون النظام، وتسليم جنامين الشهداء من أبناء هذه العشائر الذين يسقطون في المواجهات الدائرة معه.

لم تنجح عقود الحماية في الحدّ من الهجمات الآخذة بالتسارع والانتشار، أو حتى في منع تكرارها في النقاط والأجزاء التي هوجمت من قبل. إذ افتقد «متعهدو الحماية» في معظم الحالات إلى القدرة وإلى الرغبة في منع مجموعات جديدة لها، هي الأخرى، مطالبها الخاصّة من النظام، عن مهاجمة الأنابيب المارّة في بلداتهم وقراهم. أو لمجرد التحدي والنكايّة في إطار الحسد والتنافس مع المجموعات الموقّعة. ويمكن القول إن أفضل النتائج المسجلة لعقود الحماية هي توقف الموقّعين أنفسهم عن تكرار الهجمات خلال المدّة الزمنية التي يغطيها المبلغ المقدّم من وزارة النفط. مما يسمح للأخيرة، وخلال الأيام المعدودة التي تؤثر فيها المبالغ المسلمة لمهاجمي الأنابيب على سلوكهم، بضخ كميات كبيرة من النفط خلال وقت قصير. فعلى سبيل المثال نجح فنيو حقل العمر في ضخ 350 ألف برميل من خزانات الحقل عبر أنبوب التصدير بعد أن تسلّم لواء كبير ومشهور من ألوية الجيش الحرّ مبلغ 65 مليون ل.س لقاء عقد حماية. وهو رقم لا يقارن بثمن النفط المنقول عبر خط التصدير الذي تعهّد اللواء بحمايته وقتها. هذا التعهد الذي تدرك الوزارة أنه لن يسري إلا لأيام قليلة فقط بعد دفع المبلغ. ورغم سعي الوزارة الحثيث للعثور على شخصيات ومجموعات محلية قادرة على الأيضاء بعودها إلا أنها فشلت في ذلك في غالب الأحوال. ووقعت، في مرّات كثيرة، في شرك سمسرة ومحتالين يتركز اهتمامهم فقط في الحصول على مقدّم هذه العقود.

وخلال الربع الأخير من عام 2012، وبالتزامن مع ظهور الحرّاقات البدائية لتكرير النفط الخام، ظهر نوع جديد من الهجمات على الأنابيب واستثمارها، تمثل

شكّل شهر حزيران من عام 2012 فاصلاً زمنياً هاماً بين مرحلتين من مراحل الثورة في دير الزور. إذ تمكّن الجيش الحرّ خلاله من طرد قوّات الأسد من معظم ريف المحافظة، وسيطر على أجزاء واسعة من المدينة. لتنشأ، منذ ذلك الوقت، ظاهرة الاستيلاء والتعدّي على المنشآت النفطية بأنواعها.

فطالت الاعتداءات أولاً سيارات وآليات ومعدّات شركات النفط. وشارك في هذه الاعتداءات كل من:

1- بعض كتائب الجيش الحرّ. بدافع الحاجة إلى السيارات والآليات لاستعمالها في الصراع مع قوّات الأسد.

2- كتائب حديثة التشكل -بعد تحرير الريف- أنشأتها مجموعات وأفخاذ عشائرية بدوافع بعيدة عن الصراع مع النظام.

3- أفراد ومجموعات من اللصوص. وجدوا في الفوضى الناشئة وغياب العقوبة الرادعة فرصة مناسبة للنهب والسرقة.

وإلى جانب النوع السابق من الاعتداءات ظهر نوع آخر أشدّ خطورة، تمثل في قيام مجموعات عائلية أو عشائرية بتفجير أنابيب النفط والغاز المارّة في أراضيها بغاية الضغط على النظام وإجباره على تقديم تنازلات معينة يمكن تحديدها بما يلي:

1- مكاسب مادية تحت مسمى «عقود الحماية»، وفيها توقع وزارة النفط في حكومة النظام عقداً مع المهاجمين -أو مع غيرهم- يلتزمون فيها بحماية الأنابيب المارّة في مناطقهم مقابل مبالغ شهرية تدفعها الوزارة.

2- إجبار النظام على التخفيف من سياسة العقاب الجماعي التي يمارسها في حق سكان المناطق المحرّرة، وذلك بتمرير التيار الكهربائي، أو تسهيل وصول المحروقات

مواطن الدرجة الأولى (3)

ينطلق نحو عبادة الشخصية أم منها؟

علي خطاب



بسبب شجار دار بين إعلاميين يعملان لدى تنظيم الدولة في مدينة دير الزور، حول مقارنة إخلاص الجيش الحر بإخلاص أبو بكر البغدادي؛ ثارت الكثير من ردود الأفعال الرسمية والشخصية بين عناصر التنظيم في المدينة، مما سلط الضوء على تضخيم صورة البغدادي من قبل إعلامه وعناصره من جهة، واستعداد هؤلاء -أو حاجتهم؟- لتلقي هذا التضخيم من جهة أخرى.

وكأنه بسحر ساحر، لكن الإلمام بـ«الثغرة النفسية» التي سدها «الخليفة» قد يساعد في التفسير. ولا يعدم المتابع الدليل على هذا الأمر، فهو يترجم كثيراً في الفضاء الافتراضي، عندما يهدد الأمنيون أو العناصر العادية أو المؤيدون للتنظيم معارضين له يعيشون في تركيا، سخروا من البغدادي في وسائل التواصل الاجتماعي.

ولم يقف أمر المشادة عند هذا الحد، بل انتقل النقاش إلى المهاجرين. فبحسب مقرّبين منهم رأى بعضهم أنه لا يجوز التكلم عن «الشيخ» بهذا الكلام، ولكن آخرين -خاصة من الدول البعيدة عن المنطقة، كالمغرب- وجدوا في الأمر مادةً للسخريّة، مما جعل بعض من سمعهم من العناصر يستغفر الله عند تعرّضهم لشخصية البغدادي!

معلومٌ للجميع الجهد الذي تبذله مؤسّسات «الفرقان» و«أجناد» الإعلاميتين التابعتين للتنظيم، وغيرهما، لتقديم البغدادي بصورة محاطة بهالة يبدو أنها تلبّي أحلام التابعين أكثر من كونها مفروضة عليهم، في مشهد يتبادلون فيه الأدوار مع تلك الصورة المهيبة حين يمارسون الاستبداد والغطرسة بحق أهالي المناطق التي يسيطرون عليها. وهذا ما سعت إليه أناسيدهم منذ انطلاقتها، كما في «بوبريا بغدادي» أو «قوموا جميعاً بايعوا البغدادي»، وتسجيلات خطبه وكلماته التي تسبقها عبارة «مولانا أمير المؤمنين»، فضلاً عن إصداراتهم التي لا تكاد تخلو من مقتطفات من تلك الخطب.

تتنوّع الأسباب التي تساق لفهم الشجار بين الزبراوي (من قرية الزباري)، وهو إعلامي عمل مع الجيش الحر ثم بايع التنظيم بعد سيطرته على المدينة، وبين أبو عمرو، وهو إعلامي من اللاذقية مباع «من زمان». لكن مقرّبين منهما رأوا أنّ السبب الحقيقي للشجار يكمن في المنافسة على احتلال مكان الرجل الثاني بعد أمير الإعلاميين أبو أنس المصري.

بدأ الشجار كمشادة كلامية اتهم فيها أبو عمرو الجيش الحر بالردة، ليردّ عليه الزبراوي: «بي عالم من الجيش الحر مخلصه مثل البغدادي أو أكثر». صدم أبو عمرو من تلك الجملة، ثم أبلغ الأمنيين الذين اعتقلوا الزبراوي. ورأى معارضو التنظيم أنّ صدمة الإعلاميين من ذلك الكلام، ثم اعتقال الزبراوي مباشرة، هي ردة فعل متوقعة في منطقة عاشت لعقود بين ديكتاتورين (حافظ الأسد وصادق حسين)، وربطت بين حكامها وشعوبها علاقة لا يحكمها أي منطق أو قانون، ولذلك ينشط في تلك العلاقة الملكيون أكثر من الملك، خاصة وأن سراح الزبراوي قد أطلق بعد ساعات من التوقيف دون توجيه أية تهمة إليه. ويدل معارضو التنظيم على أثر الديكتاتورين الواضح في اللاوعي الجماعي للمنطقة بانتشار مقطع فيديو، في وقت سابق، على نطاق واسع، يعرض رجلاً (لقب بأبي الثوار) يبدأ كلامه أو خطبته بـ«أطلق لها السيف» (قصيدة ألقاها صادق حسين) ثم يكمل بـ«يا أحفاد أبي بكر..» (خطاب حرب 73 لحافظ الأسد). كما أن تساؤل الناس الدائم عن بديل لبشار الأسد (إذ ينتظرون استبدال قائد بقاءً) يدعم ذلك الأمر الذي يغيب عن أذهان الكثيرين ممن يحاولون تفسير الانصياع الأعمى لعناصر التنظيم

الجدير بالذكر أنّ ردة الفعل الأولية لكثير من شباب المدينة على هذه البروباغندا (تنفخ الشيخ) هي «أكل بحالو مقلب» أو «كذبوا الكذبة وصدقوها». وتعبّر هذه الأوصاف عن إيهام الذات وفرضه على الآخرين، أو الإيمان الساذج والطفولي بالنفس والمركز، أو استغناء الناس واستصغارهم ومعاملتهم وكأنهم «طلاب صف خامس» خاصة حين يتعلق الأمر بـ«تحدي أمريكا وأوروبا أو مدّ السيطرة على العالم». بينما راح اسم البغدادي يظهر في الأحاديث اليومية في معرض الرد على أسئلة دون جواب، كما في «شكون شايفني البغدادي؟» للتعبير عن العجز والامتعاض والسخريّة في الوقت نفسه.

قد لا تكون القوانين (إن كانت هناك قوانين) التي تعمل بها أجهزة التنظيم، أو يحكم قضائته ضمنها، تنص على عقوبة بحق الذين يتعرّضون للبغدادي (وهو ما يربّحه الإفراج عن الزبراوي، الذي ترك العمل نهائياً إثر ذلك) ولكن قادة التنظيم والممسكين بإستراتيجيته والساهرين على بقائه وتمدده، والذين عاشوا بنوسون بين ديكتاتورين، يبحثون في «الشيخ» عن ثالث.

حظر تجوال

■ سمهر الخالد

حالا تبدأ سيارة يقودها ملثمون بإطلاق صافرة الإنذار المركبة فوقها ويبت ميكروفونها شيئاً ما، حتى يتضاعف عدد المركبات والمشاة وتتسارع الحركة في شارع التكايا، السوق الرئيسية والوحيدة في أحياء مدينة دير الزور الخاضعة لسيطرة تنظيم الدولة.

المدينة، ورغبة التنظيم في إخفاء تحركاته ومن معه. فيما تنتشر إشاعة أخرى مصدرها مقرّبون من أمراء التنظيم أن الحظر جاء بهدف تشغيل الأهالي في حفر الخنادق من جهة، ومن جهة أخرى لمعاينة سكان المدينة المكروهين من قبل أكثر الأمراء والعناصر على حدّ سواء. ليصل متعصبون بالأمر إلى رغبة أهل الريف «الشوايا»، المسكين بمواقع حساسة في الولاية، في إذلال أهل المدينة «الديريّة». كما يدعي البعض أن الحظر يأتي ضمن سياسة ممنهجة من قبل التنظيم لتهجير السكان المحليين بدافع الاستيلاء على بيوتهم وتوطين المهاجرين فيها.

مع الأيام، فقد الإعلان عن الحظر تلك الضجّة والحيرة والانشداد التي كان يحدثها في أيامه الأولى، حين كان الأطفال القرييون من السوق يسرعون على دراجاتهم الهوائية ليذيعوا الخبر «حصر اجوال» في الحارات، دون طلب من أحد، ليخرج على إثره الناس إلى أمم منازلهم لسبب مجهول قد يكون تلقط الأخبار أو الوقوف على فداحة الموقف، أو، كما يقولون لبعضهم مازحين: «للتفرج على حظر التجوال»، أو، كما أصبحوا يسمّونه: «حظر شوال».

على جبهات الاشتباك مع قوآت النظام، أو في دفن الموتى في إحدى الحدائق العامة. وفي هذه الحالة تتولى الجرافات حفر قبور جماعية لاستيعاب الجثث، بغض النظر عن الطرف الذي ينتمون إليه، ودون مراعاة لمراسم الدفن، كوضع الطباقات (وهي طبقة من الإسمنت أو الرخام أو الخشب، توضع فوق اللحد، وتحول بين الميت والتراب المهاد في القبر). الأمر الذي أدى إلى مشادّات بين متطوعين في عمليات الدفن وعناصر التنظيم، ليرضخ هؤلاء في النهاية لرغبة المتطوعين في مراعاة مراسم الدفن، باستثناء جثث لأشخاص مجهولي الهوية أجهز عليهم الأمنيون في الحديقة العامة.

لا توجد حصيلة دقيقة لعدد المعتقلين على خلفية انتهاك حظر التجوال، لكن بحسب بعض الذين مرّوا بتجربة الاعتقال - تجاوز العدد الخمسين شخصاً يوماً خلال الأيام الأولى، وهو ما دعا الشرطة إلى إطلاق سراح البعض بعد ساعات من اعتقالهم، ليقلّ العدد في الأيام اللاحقة. كما أنه ليس معروفاً على وجه التحديد سبب استمرار حظر التجوال بعد توقف الممارك، لكن الناس، وبعد تمللهم، رفضوا التفسير الأولي الرافح، وهو خوف التنظيم من تسريب خسائره، خاصّة مع تراقف الحظر بمصادرة أجهزة النت من مقاهي المدينة لأنها «منطقاً عسكرياً»، والتعهد بإعادتها بعد «التحرير». وكذلك تراجع الأدعاء القائل إن الحظر جاء لإبعاد الفضوليين الذين يعيقون عمليات الإسعاف والإمداد. بينما يتناقل الناس العديد من الشائعات كان أبرزها تلك التي تحيل سبب الحظر إلى وجود أبو بكر البغدادي في

لا يكاد يُسمع من كلام الجالس في السيارة سوى جملة «...عوام المسلمين»، وهو التعبير الذي يستعمله التنظيم لوصف الأهالي الواقعين تحت سيطرته، باستثناء عناصره، ويفهم منه الأهالي تقديماً لإلقاء الأوامر والتعليمات المرتبطة بهم فقط. ثم تسمع كلمة «سلامتهم»، ويفهم منها أيضاً أن هناك معركةً يجهز لها التنظيم ويتوخى من أوامره هذه تجنّب المدنيين القصف العشوائي للنظام.

بدأ حظر التجوال يوم الأربعاء 2015-5-6. وبالفعل، تزامنت الممارك في الصناعة وجميآن وحويجت صكر مع الأيام الثلاثة الأولى منه، وترافقت بقصف جويّ مسائيّ عنيف، لتتوقف الممارك نهائياً في حدود المدينة. تنوّعت الأوقات التي يضرّض فيها الحظر بين الساعة الثانية ظهراً والرابعة عصراً والسابعة مساءً، ليستقرّ الوقت على السادسة مساءً وينتهي كفيماً مع بزوغ فجر اليوم التالي. استثنيت من الحظر بعض المحلات والمطاعم التي مُنحت ترخيصاً للعمل أثناء ذلك لخدمة «الأخوة».

ورغم أن نداء الحظر يترافق في بعض الأحيان بكلمة رجاء، إلا أن دوريات التنظيم تجوب المدينة للتأكد من التزام الأهالي بالأمر، ولتعتقل كل من تجده في الشارع أياً كان سبب وجوده، حتى لو كان زيارة الجيران أو رمي القمامة أو مجرد الوقوف على شرفة المنزل أحياناً، بحسب ما أفاد بعض من اعتقلوا في الأيام الماضية. ويتراوح الاعتقال بين بضع ساعات إلى ثلاثة أيام في سجن الشرطة الإسلامية، يعمل خلالها المعتقلون في حفر الخنادق

حقل العمر



المدينة السكنية

Google earth

© 2015 Cnes/Spot Image

تكللت عملية الإنزال

التي نفذتها عناصر وحدة أمريكية خاصة في حقل العمر النفطي شرقي دير الزور بالنجاح هذه المرة، بعد أن فشلت عملية مماثلة جرت قرب مدينة الرقة في إنقاذ الصحفي جيمس فولي الذي كان في قبضة داعش، ليقوم بالتنظيم لاحقاً بإعدامه في شهر آب من العام الماضي.

أبو سيف، واشتبكوا مع قرابة 8 عناصر من التنظيم، في حين تم إنزال دفعة أخرى من عناصر الوحدة على الأرض أمام المبنى وتمت عملية الاقتحام عن طريق نسف الحائط الجانبي له. لتسفر العملية عن مقتل أبو سيف، «أمير الركاز» في الولاية، ومعه أبو أسامة الديري «المدير المالي للحقل»، وأحد مساعدي عمر الشيشاني، المسؤول العسكري في التنظيم، وأبو عبد الرحمن اللاذقاني، وهو مسؤول عن قطاع الاتصالات، وقياديين آخرين من دول المغرب العربي لم تعرف أسماءهم، إضافة إلى مقتل عنصرين كانا يقاطلان عند جامع المدينة السكنية في الحقل أحدهما هندي الجنسية. في حين أفاد شهوداً على العملية عن اعتقال ابنة المدعو أبو أسامة الديري، البالغة من العمر 11 عاماً، والتي قيل إنها مريضة بالسرطان، إلى جانب أم سيف، ونقلهما إلى بغداد، وتحرير «سبيته» يزيدية كانت تقيم في المنزل.

من حقل العمر روايات حول مقتل أبو سيف واعتقال زوجته

■ هند عبد اللطيف

ويعود ذلك إلى عدم اختلاط المهاجرات مع نساء المدينة السكنية، وحرصهن على السرية التامة، وافتقارهن إلى العلاقات الاجتماعية. وقيل إنها «مسؤولة سبانيا التنظيم»

روايات الشهود عن العملية

بحسب شهود عيان من قلب المدينة السكنية لحقل العمر، بدأت العملية في حدود الساعة الواحدة والنصف فجر يوم السبت السادس عشر من هذا الشهر، واستغرقت قرابة الساعتين، بخلاف ما تداولته الكثير من المواقع الإخبارية التي أشارت إلى حدوث عملية إنزال سريعة استغرقت نصف الساعة. وحدثت خلال تلك الساعتين اشتباكات عنيفة بين القوة المهاجمة، المكونة من أكثر من 100 عنصر كوماندوس، يرافقهم مترجم عراقي الجنسية، إضافة إلى مجموعة من الكلاب البوليسية، وبين عناصر داعش. وقد تم الإنزال على مرحلتين من خلال مروحتين وطائرة، فنزل قسم من عناصر الوحدة الأمريكية عن طريق سلال على سطح المبنى الذي يتحصن فيه

أعلن وزير الدفاع الأمريكي، أشتون كارتر، عن مقتل أبو سيف «المسؤول عن العمليات المالية وعمليات بيع وتهريب النفط والغاز في التنظيم، واعتقال زوجته أم سيف». فيما كشف أحد المسؤولين في وزارة الدفاع الأمريكية عن مقتل ما لا يقل عن 12 عنصراً وقيادياً آخرين، بالإضافة إلى تحرير «سبيته» يزيدية كانت في منزل أبو سيف. في حين تضاربت الروايات حول مجريات العملية وأهدافها وأسباب اعتقال أم سيف.

معلومات حول أبو سيف وأم سيف

هو نبيل الجبوري. عراقي الجنسية. يبلغ من العمر قرابة الـ45 عاماً. وهو من كبار قيادات داعش في «ولاية الخير». كان يقيم مع زوجته أم سيف في تونس قبل مجيئه إلى سورية. أقام في مدينة الطبقة قرابة الستة أشهر. وعين أميراً للركاز في «ولاية الخير» بعد سيطرة داعش على محافظة دير الزور الصيف الماضي.

ولا توجد معلومات دقيقة عن أم سيف سوى أنها عراقية الجنسية.

ثم يعدد الأسباب التي دفعته إلى ترك حياته ووظيفته لالتحاق بصفوف الدولة الإسلامية وفق تعبيره. فهو لم يكن مرتاحاً على العموم لأن الحكومة في طاجيكستان تحارب الدين ولا تطبق شيئاً من تعاليمه، وتلاحق النساء المحجبات والرجال الملتحين والمصلين في الجوامع. ثم يروي حادثه كان شاهداً عليها في مكتب وزير الداخلية، حين وبخ الوزير قائد الشرطة لأنه لم ينفذ وعده بمنع الحجاب نهائياً، وما تزال الفتيات والنسوة المحجبات يشاهدن في الشوارع.



على يمين الرئيس الطاجيكي

ويتوعد حليموف المسؤولين في بلده: «ألا تعلمون كم يوجد من الأخوة من خراسان وطاجيكستان في صفوف الدولة الإسلامية؟! سيعدون إليكم ليقتنوكم دروساً قاسيةً ويطبقوا الشريعة في طاجيكستان».

وينصح حليموف جنود الجيش الذين يدافعون عن المسؤولين، والمواطنين الطاجيكيين الذين يعملون في روسيا «مثل العبيد لدى الكفار» بترك كل شيء والهجرة إلى «دولة الإسلام» مختتماً بذلك حديثه في التسجيل الذي صور بأسلوب محترف كعادة التنظيم مع منتجاته الدعائية. وبحسب المعلومات القليلة التي نشرتها وسائل الإعلام الروسية والطاجيكية، ولد حليموف في العاصمة دوشمبه سنة 1975، وكان واحداً من الضباط اللامعين في سلكه الوظيفي، وكان يعيش حياةً طبيعية حتى اختفائه قبل ثلاثة أشهر - ليظهر قبل أيام في التسجيل المصور في مكان ما بين سوريا والعراق.



بعد انضمامه إلى التنظيم

الباقين لإخلاء بيوتهم خلال مدة أقصاها أسبوع، بحسب ما أفاد بعض سكان المدينة. وتبعد المدينة السكنية عن موقع الحقل قرابة 5 كم. وتضم 250 شقة وقرابة 13 «كرفانات». يقطنها مهندسو الحقل وموظفوه وبعض العوائل النازحة من مدينة دير الزور والقرى المحيطة بالمطار العسكري. إلا أن التنظيم، وبعد سيطرته على الحقل العام الماضي، قام بتوزيع إندارات لإخلاء البيوت، وقام بطرد 200 عائلة، تاركاً فقط عائلات المهندسين والفتيات الذين لا يمكنه الاستغناء عنهم. وبحسب بعض سكان المدينة، يقدر عدد المهاجرين وعوائلهم بقرابة الـ142، معظمهم من قياديين داعش في المنطقة، ومسؤولون مهمون ذكر منهم أبو رحمة العراقي وأبو العباس السوداني وأبو أسامة التونسي وأبو عبد الرحمن السعودي وأبو مصطفى الأنصاري. في حين بلغ عدد عناصر التنظيم المحليين وعوائلهم الـ50. فيما تستخدم 4 شقق كمقرات ومخازن ذخيرة وأسلحة، وشقتان لـ«سبايا»، وشقتان لأرامل التنظيم.

قائد الوحدات الخاصة في طاجيكستان مهاجر جديد في صفوف داعش

ترجمة وإعداد: مي محمود

في التسجيل المصور لقائد الوحدات الخاصة لوزارة الداخلية في طاجيكستان، والذي بث على موقع اليوتيوب؛ يعرف العقيد مراد سليم حليموف بنفسه ويعمله السابق وبالذورات التدريبية التي خضع لها في كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية.

وتتضارب الأقوال حول الهدف من العملية. إذ يرى البعض أنه غير المعقول أن تخاطر أمريكا بقواتها الخاصة من أجل شخصية لم تكن تعد من شخصيات الصف الأول في التنظيم كأبي سيف، وأن المستهدف الحقيقي شخصية كبيرة أكثر أهمية، ربما تكون أبو محمد العدناني الناطق باسم داعش، والذي كان أبو سيف يرافقه في أوقات كثيرة. وهو ما أكدته مصادر مقربة من التنظيم في المنطقة من أن العدناني شوهد عدة مرات في المدينة السكنية منذ قرابة الأربعة أشهر. إلا أن تلك المصادر لم تؤكد إقامته الدائمة في المدينة السكنية، في حين أكدت تردده عليها وعلى حقل العمر بكثرة، برفقة أبو سيف.

وتسري رواية أخرى يرى فيها البعض أن أم سيف متعاونت مع القوات الأمريكية والسلطات العراقية، وهي من قامت بتسريب المعلومات حول أماكن وجود زوجها ورفاقه. والدليل على ذلك سؤال المترجم العراقي عنها فور نزوله من الطائرة، والاكتفاء باعتقالها دون قتلها.

ردود الأفعال

اكتفى التنظيم بالإعلان عن نجاحه في صد الهجوم الأمريكي، دون أن يعلن عن مقتل قياديه وعناصره. فيما سارع تلفزيون النظام الأسدي إلى تبني العملية، بعد إعلانه في خبر عاجل عن مقتل ما يسمى وزير نفط داعش، أبو تيم السعودي، مع 40 شخصاً، في عملية نوعية. مما حمل بعض المحللين على الشك في وجود تنسيق مسبق مع النظام، وهذا ما نفته الإدارة الأمريكية.

وشهدت المدينة السكنية، بعد عملية الإنزال، حالة هلع ونزوح للعديد من المهاجرين وعناصر التنظيم وعوائلهم. كما تم قطع جميع وسائل الاتصال والإنترنت في المدينة السكنية، إضافة إلى توزيع إندارات لـ20 عائلة من المدنيين

التنقيب عن آثار الريف الغربي لدير الزور

وردتنا هذه الشهادة من متابع ومطلع على مسيرة التنقيب العشوائي عن الآثار في المنطقة المذكورة. ونظراً لأهمية الموضوع تقوم «عين المدينة» بنشرها كما وصلت، دون أن نستطيع أن نؤكد أو ننفي الوقائع والأماكن والأسماء المتضمنة فيها.

حيدر، المسؤول عن الموقع، كان يقف وراء القضية. كما شاهد أهل المنطقة العقيد سليمان بجانب الموقع أكثر من مرة بسيارته الخاصة. وشوهت سيارة تحمل نمره الجيش بجانب الموقع بشكل متكرر. وفي نفس الفترة اعتقل خمسة أشخاص بتهمة التنقيب عن الآثار وسرقة ثروات البلد، منهم (ص.ش) من أهالي بلدة الشميطية، الذي حكم عليه بالسجن لمدة خمسة أعوام بتهمة تهريب الآثار. وشرق الموقع المذكور هناك موقع آخر يقع في بلدة زغير شامية، بجانب طاحونة الحرويل، حيث توجد تلة عُثر فيها على أوان فخارية قديمة وعدد كبير من القطع النقدية في عام 2010، نقلت فوراً لتباعد في تركيا بواسطة تاجر من بلدة المسرب.

لم تتوقف عمليات التنقيب عن الآثار في ظل الثورة، بل ازدادت بسبب غياب الرقابة. وفتح المجال أمام المنقبين للبحث باستخدام أجهزة إلكترونية تكشف دقائق الذهب على عمق بضعة أمتار. ولجأ بعضهم إلى إحضار ساحر لفك الحرز عن الكنز مقابل نصيب منه. وإذا صعب الأمر على الساحر والجهاز؛ تستخدم الجرافات الضخمة للوصول إلى الهدف المنشود. أول من مارس عملية التنقيب الجماعي العلني بعد الثورة شخص من المسرب يدعى غليص، قام بنهب منطقة حلبية وزلبية بمساعدة كتيبة لصوص، باستخدام جرافات وبلدوزرات. ومن المعروف أن هذه الآليات تحطم قطعاً نفيسة صغيرة، ولكنها كانت غير مهمة بالنسبة إلى هؤلاء المنقبين الذين يبحثون عن ما هو أثمن، كالتماثيل الذهبية وجرار الفخار الأثرية التي تحوي ليرات الذهب الثمينة.

يقول شخص من أهالي بلدة المسرب: «عثرنا على قطع أثرية كثيرة قبل عامين. وبعثنا بثلاثة آلاف دولار. تقدّر هذه القطع بعشرات آلاف الدولارات، ولكن التاجر غشني واشترها مني بثمن قليل. كان من ضمنها تمثال صغير عثرت عليه في جبل طابوس. وهو على هيئة طفل صغير وكل معالم جسمه واضحة. وهو مصنوع من تراب الذهب».

تحوي قرى الريف الغربي لدير الزور على مواقع أثرية عديدة ومعروفة. إذ جرت وتجري عمليات البحث العشوائي عن الآثار في بلدات الطريف والمسرب والخريطة وتلة عياش، فضلاً عن المواقع المعروفة كحلبية وزلبية الواقعتين على ضفتي نهر الفرات، وما يعرف بتلة طابوس، التي تقع على بعد 13 كم غربي مدينة دير الزور، في قرية الشميطية، وهي تتبع لناحية التبني. ويرجع الموقع، بحسب المؤرخين، إلى العهد الروماني.

وهناك أيضاً منطقة الظهر، وبالتحديد منطقة ناظرة في بركة ريف دير الزور الغربي. وتبعد حوالي عشرين كيلومتراً غرب محطة الخراطة النفطية. حيث وجدت عدة مقابر قبيل إنها ليهود عاشوا وماتوا هناك ودفنت معهم أموالهم. وقد تم حفر هذه القبور ونهبها ورمي عظامها خارج الحضر. ولكن ليس كل من في المقبرة تدفن معهم دفائن ثمين، بل فقط سيد القوم، حسب ما يقول الباحثون. وهذه عادات القبائل التي كانت تعيش في هذه المنطقة، إذ كانوا يجمعون الذهب ويضعونه عند سيد القوم ويدفن معه كي لا يُسرق من القبيلة أثناء الغزو. ويتم الوصول إلى قبر سيد القوم عبر خريطة من الرموز لا يفكها إلا خبير أو عارف بالآثار.

قبل الثورة السورية، لم يجرؤ أحد على الاقتراب من الموقع الأثري في طابوس، لأن مخابرات النظام كانت تضع يدها عليه وتمنع أي شخص من الاقتراب منه، بحجة حمايته من النهب. وبحسب الروايات التي عُرفت من حراس الموقع في ذلك الوقت، كانت عملية تنقيب منظمة تتم بإشراف المخابرات، لئتم شحن القطع الأثرية المكتشفة إلى ميناء طرطوس، ثم بيعها خارج البلد. وقد عين النظام حراساً على الموقع وأعطاهم صلاحية واسعة في التعامل مع المتطفلين والمنقبين. ففي عام 2000 قام أحد الحراس بإطلاق النار على شخص كان يحفر في الموقع الأثري، مما أدى إلى مقتله، في حادثة شهيرة. ورفع أهل القتل دعوى ولكن دون فائدة، لأن العقيد سليمان





جانب من موقع حلبية وزليبية

بيعت كلُّ منها بعشرة آلاف دولار. أما القطع الصغيرة التي لا قيمة لها، كما يصرِّح «الأنباري»، لمقرِّبه، فهي تباع بألفي أو ثلاثة آلاف دولار.

يتمُّ تصريف الآثار عن طريق مهربيين لهم علاقات مع تجار أترك، يبيعونها في السوق السوداء بقيمة لا تساوي حتى ثلث سعرها في أوروبا. وفي الأونة الأخيرة شددت الحكومة التركية ملاحظتها للتجار والمهربين، فألقي القبض على بعضهم في مدينة أورفا، وتمت مصادرة القطع التي بحوزتهم. فيما تملص تجار آخرون من التبعية لداعش ليعملوا لحسابهم الخاص، فأصبحوا بذلك مطلوبين للتنظيم.

لا يستخدم تنظيم الدولة وسائل حديثة في التنقيب بل الآليات الضخمة. ففي أحد المواقع في طابوس تم هدم غرفة من أصل ثلاث غرف تم اكتشافها بواسطة البلدوزر أثناء التنقيب. وهذه الغرف مبنية بطريقة عجيبة، كما يقول أحد عناصر التنظيم. وبذلك لم يقتصر تنقيب داعش على السرقة بل حرب أماكن أثرية تعود إلى مئات أو آلاف السنين بطريقة الهمجية. وهذا حال القصر الملكي في منطقة حلبية وزليبية، الذي لم يسلم هو الآخر من التخريب على يد التنظيم.



حفرات تل طابوس - موقع المديرية العامة للآثار والمتاحف

طبعاً سرق النظام الكثير من آثار البلد، ولكنه يعرف أن هناك الكثير أيضاً مما لم يكتشفه أو لم يستطع أن يسرقه لسبب ما، كالحرز أو صعوبة الوصول أو وجود السكان المحليين. ودفعه هذا الأمر إلى استهداف فريق البحث في طابوس، التابع لتنظيم الدولة، بغارات جوية، كان آخرها قبل نحو شهر، دون أن يصاب الفريق بأذى. ويتابع التنظيم بحثه عن الآثار في الوقت الذي تحولت فيه مدينة دير الزور إلى آثار... والغاية هي تمويل دولة الخلافة المزعومة.

كانت الفتوى الشرعية المتداولة وقتها أن الآثار تعدّ من دفائن الأرض العامة، وليست ملكاً لأحد، ويحقّ للجميع البحث عنها وبيعها وكسب المال. أما موضوع الإرث الحضاري لسوريا فلا يبالي به أحد تقريباً. ويقول المنقب: «يا أخي أنا محتاج وبدي أعيش. وكنز مدفون جواً التراب، مو حرام يظل مدفون؟». صدرت هذه الفتوى عن بعض شرعيي الهيئة الشرعية في المنطقة الغربية. وكانت جبهة النصرة تبحث كثيراً في طابوس بالتحديد، حيث كانت لهم معسكرات. واعتاد السكان على سماع أصوات التفجير بشكل يومي. ساد الاعتقاد حينها أن الأصوات جزء من عمليات تدريب المقاتلين. ولكن، بعد مضي الوقت، صرّح بعض عناصر الجبهة بأن الأصوات كانت نتيجة عمليات تفجير في الأرض بحثاً عن الآثار. وبرّر أحد العناصر ذلك قائلاً: «كنا نشترى بثمنها ذخيرة لمقاتلة داعش، ولم نضع شيئاً في جيوبنا».

كان أمير جبهة النصرة في الخط الغربي يقيم قبل الثورة في السعودية، وقدم إلى سوريا طلباً للجهاد كما يقول. اتضح فيما بعد أن له اهتماماً بالتنقيب عن الآثار. وتواردت أنباء عن أخذه للكثير من القطع الثمينة لبيعها في تركيا حيث هرب ليقوم لاحقاً. ويذكر بعض المطلعين أن من الآثار التي عثرت عليها النصرة قطعة ذهبية رُسم عليها رأس حاكم من عصر الإغريق، يضع تاجاً على شكل سنابل القمح. كما عثر على رقم فخاري عليه أحرف لم تُعرف ماهيتها، بالإضافة إلى الأواني الفخارية التي تحوي ليرات ذهبية. وكل ذلك فقط في الجانب الغربي من تلة طابوس الأثرية، وبمساحة بحث لا تتجاوز الخمسمئة متر مربع، وعلى عمق خمسة أمتار.

سكنت منطقة الريف الغربي منذ قديم الزمان. ولذلك فهي تحوي مواقع كثيرة، منها ما اكتشف ومنها ما لم يكتشف حتى اللحظة. ولذلك عمل تنظيم الدولة الإسلامية على الاستعانة بخبراء مهاجرين للبحث، وقدم لهم كل المساعدات اللازمة. وفي الوقت الحالي تم إنشاء فريق عمل للبحث والتنقيب، معه آليات ثقيلة كالبلدوزرات. ويعمل هذا الفريق كل يوم دون انقطاع تحت إشراف شخص يدعى أبو عمر الأنباري. وهو من أهالي بلدة عياش، ولكنه يكتفي بنفسه بالأنباري. ويساعده عدي السعدي من سكان البغليبية التابعة لمدينة دير الزور.

يحاول التنظيم أن يكون التنقيب سريعاً للغاية، ولكن عناصره يتحدثون عن مكتشفاتهم في جبل طابوس ومنطقة حلبية وزليبية. ومما تردّد الحديث عنه بينهم عثورهم على قطعة ثمينة بيعت بثلاثين ألف دولار أمريكي، وخمس عشرة قطعة



الليرة السورية تطلق زفرتها الأخيرة

■ محي الدين ديراني - دمشق

اشتهرت المصارف المركزية بأنها الجهة التي تنظم السياسة النقدية للبلدان، وتقوم بتمويل التنمية الاقتصادية وتحسين مستوياتها المتمثل في توزيع أفضل للدخل بين الأفراد، ومكافحة الفقر، ورفع المؤهلات والقدرات البشرية. إلا أن دور المصرف المركزي السوري تميّز بالاحتيايل على المواطن من خلال سحب القطع الأجنبي من يده وجلسات التدخل الوهمية، شأنه شأن السياسة العامة للدولة.

وكمثال عملي على ذلك، تذكر الجريدة لقاء حاكم مصرف سورية المركزي مع التجار في غرفة تجارة دمشق وريفها مؤخراً، حين صرح بأنه سيتم تخفيض سعر الدولار 30 ليرة خلال يومين، وكان ذلك يوم الثلاثاء 19 أيار، وعلى ذلك يجب أن ينخفض الدولار مع نهاية يوم الخميس 21 من أيار. وهذا ما لم يتحقق حتى تاريخه!

لا يجرؤ التجار على رفع سقف انتقادهم للحالة العامة التي وصلت إليها الليرة، ويكتفون بالاستهزاء من أديب مياثة. لكنهم يعرفون أن الحقيقة تكمن في إفلاس النظام وعجزه عن تعويض خسارته لموارد البلاد التي خرجت عن سيطرته، وارتدائه بشكل كامل للتمويل الإيراني لأنشطته العسكرية والمدنية. إلا أن عدم الإفصاح عن الرأي لا يحول دون قيام هؤلاء التجار بما يلزم لضمان مصالحهم، إذ نجح معظمهم في التكيف مع اضطرابات أسعار الصرف بحسب الحقي الإيرانية في دورة حياة اقتصاد الأسد، كما يقول تاجر شاب نقل رأسماله بالتدريج إلى خارج البلاد وأبقى أعمالاً شكلية متظاهراً، هو الآخر، بجديّة انتقاده لـ«حاكم مصرف سوريا المركزي»، وساخراً في جلساته الخاصة من «تخبّط العصابة في إدارة أزمته المالية التي لن تجتازها بنجاح».

بنتائج تدخله في سوق بيروت، وهو الإجراء الذي هلل له كثيرًا، واعتبره الكفيل بحل المشكلة، وكذلك جدوى بيعه شرائح القطع الأجنبي المختلفة».

ويقول أستاذ في كلية الاقتصاد طلب عدم الكشف عن اسمه: «لا نجاة في الحقيقية إذا اعتبرنا أن مياثة أحد المضاربين على الليرة من خلال نشره لأخبار ومعلومات غير دقيقة. وكل التهم التي وجهها المركزي إلى الذين يضاربون على الليرة افتقدت الحجّة والمنطق». ويضيف: «هل من المقنع أن موقعاً إلكترونيًا، أو حساباً على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، قادرٌ على اللعب بسعر الصرف؟ أو تحريكه؟ أو المسّ بمتانة الليرة وتماسكها؟!».

لكن المفاجأة أتت من صحيفة «الوطن» الممولة من قبل رامي مخلوف، في عددها الصادر في 31-5-2015، والتي لطلما قالت إن الدولار سيتراجع أمام الليرة السورية، وإن كل من سوّلت له نفسه شراء المعدن البراق أو العملة المشؤومة (الدولار) سيندم لا محالة؛ حين كتب رئيس القسم الاقتصادي للجريدة: «من غير المقبول أن تكون تصريحات محافظ البنك المركزي غير دقيقة، أو وعوده غير قابلة للتحقق، فالمسألة متعلّقة بالثقة؛ جوهر السياسة النقدية، ومصدر نجاحها الوحيد».

ونتيجة ذلك يواصل سعر صرف العملات الأجنبية ارتفاعه، وتراجع القدرة الشرائية لليرة السورية وتدهور يوماً بعد يوم، فيما كل المعنيين بالقطاع النقدي يجددون أسبوعياً تأكيداتهم الصارمة، ويقدمون وعودهم غير الصادقة بأن سعر الصرف سيتحسن، وأن أسعار الأسواق وهمية، ولا تعبّر عن القيمة الحقيقية لليرة.

وفي جولتها المستترة في أسواق دمشق، رصدت «عين المدينة» آراء بعض التجار. يقول تاجر أقمشة في سوق الحريقة: «هذه الأسطوانة المشروخة مللنا من سماعها، ودفعتنا إلى عدم تصديق كل ما يقوله مصرف سورية المركزي، ورفض كل بياناته وتصريحات مسؤوليه، وعلى رأسهم الحاكم الذي يخرج أسبوعياً ما بين ثلاث إلى أربع مرّات، في ظهور إعلامي باهت، وعبارات فارغة المضمون، وبعيدة عن الشيء الذي ينتظره الناس، ووعود أشبه ما تكون بأمل الغرقى في الإنقاذ».

يواصل الدولار الارتفاع وصولاً إلى تخوم 300 ليرة سورية. ما دفع عبد القادر، وهو تاجر في سوق العصورونية، إلى القول: «لا يتجرأ أديب مياثة، الذي أحالته جامعة دمشق إلى التقاعد لبلوغه سنّ الستين، على مكاشفة الناس ومصارحتهم



الطريق إلى دمشق مدينة التلوث البصري والسمعي

الصورة من موقع رصيف 22

علي يونس

لم يكن وائل يعلم أن المدة التي سيحتاج إليها للوصول إلى دمشق، قادماً من المعبر الحدودي اللبناني، أصبحت 3 أضعاف الوقت المعتاد وربما أكثر. هو طالب جامعي في دولة عربية. أقنعه ذووه بالسفر خشيةً عليه من مخاطر مظاهرات حيّ برزة القريب من محل إقامة عائلته، وحيث قضى بعض أصدقائه برصاص الأمن والشبيحة قبل أربع سنوات. اضطرّ إلى زيارة دمشق بسبب مرض والدته.

تحامل عليك أيّ من عناصر الحواجز، وهو احتمال واردٌ جداً في أيّ وقت. في شوارع المدينة شيءٌ من بهجة الماضي، سرعان ما تفقدها فور أن تركب التاكسي وتحدّد له الوجهة التي تريد الوصول إليها. قبل «غزو» إيران الفضاء البصري والسمعي في دمشق، كان الناس يتصّبحون بصوت الداعية محمد راتب النابلسي في واحد من دروسه المسجّلة، أو بصوت فيروز في حالاتٍ أقل. لقد تغيّر هذا الآن. لا يسألُك سائق سيارة الأجرة، وهو عنصرٌ أمّنيٌّ غالباً، إن كنت تفضل مطرباً معيناً، أو نمطاً غنائياً. سيشتغل أغنيةً تتراوح في طائفيتها بين «إلك تحية.. من الجعفرية.. وهاي الهوية.. باسمك يا علي»، و«جدح من درعا الشرر.. خصم مهدينا ظهر.. ومن حرسنا ننتظر.. أول علامة.. حتى أغنية تمجد بشار الأسد ستكون خياراً أقل عدوانيةً بالمقارنة من النوع الأول من أغاني التكسي في دمشق اليوم، التي تملأ حيطان شوارعها بوسترات ولوحات قماشية تطالب بالثأر من قاتلي الحسين، إلى جانب صور بشار وحسن نصر الله وعبد الملك الحوثي -مؤخراً- وقاسم سليمان. أو قد يظهر هؤلاء مجتمعين في رسوم يكون فيها الخامنئي زعيماً بين هؤلاء الأتباع.

الخمسة التي مرّ بها. «عساكر جوعانين وأيّ هدية... باكيت دخان.. علبت بيرة.. كيلو موز.. علبت بسكويت، تخلي العسكري بيتسم لك ويمشي هويتك عالسرّيع وقت التدقيق بالأسماء». ويتردّد وائل في تحديد الحاجز الأكثر سوءاً وبشاً للرعب؛ حاجز الفرقة الرابعة المعروف برعونة ومزاجية عناصره بين مرور سهل «بباكية مارلبورو أو قنينة فودكا» أو الاعتقال دون أدنى توضيح للسبب، أم حاجز المخابرات الجوية الذي يقوم ب«تفويض» الأسماء اعتماداً على نشرات المطلوبين لجميع الأجهزة الأمنية، بالتزامن مع إهانة معظم الركاب «العاديين»، أي «غير المدعومين بشكل واضح جداً». فقد يسأل عنصر المخابرات رجلاً مسناً، وهو يقرأ سنة ولادته، عن سبب بقائه على قيد الحياة حتى الآن، وقد يخرج شاباً مسافراً برمي ملابسها الداخلية خارج الحقيبة قبل أن يطلق سلسلة شتائم بذيئة وتجديفاتٍ عندما تطالبه أن يفتش الحقيبة دون رمي اللباس، ولا يهدأ إلا بعد تدخل السائق بورقة نقدية دسّت في جيبه. يؤكد كثيرٌ من المسافرين أن للسائق على طريق بيروت دورٌ هامٌ في المحافظة على الحد الأدنى من سلامة الركاب، فقد ينقذك بخبرته من اعتقالٍ محتم إن

عبر مطار بيروت كان طريق العودة، لينطلق بعد ذلك إلى الحدود: «كانت رحلتنا مغامرةً حقيقية»، 5 حواجز أمنية في طريق الدخول من منطقة المصنع، عبر معبر جديدة يابوس السوري، وصولاً إلى دمشق. أول هذه الحواجز يتبع للأمن العسكري، وتقتصر مهمته على الاطلاع على هويات القادمين. ولا يبدو الكثير من التشنج في سلوك ومظهر عناصره، فقد يرتدي بعضهم ملابس رياضية وقد بيتسمون لبعض المسافرين، وخاصةً حين يسألون: «شو جايلنا معك بعد هالغيبه؟»، أو «معقول بعد كل هالغيبه وجاي متلوحج بدياتك!».

يعدّ هذا الجزء من الطريق آمناً إلى حدٍ كبير، إذ لم يشهد أيّ هجوم للثوار، أو حتى عمليات ضبط أسلحة في السيارات. لكن هذا الأمان لم يمنع من وقوع ضحايا اشتبه بهم بناءً على هياتهم أو قيد نفوسهم في البطاقات الشخصية، لا سيّما المتحدّرين من المناطق النائية أو المحرّرة. بعضهم يُعتقل بسبب تشابهه في الأسماء. يقول كثيرٌ من المسافرين إن «تشابه الأسماء» كذبة لا تبرزاز المسافرين والسائقين. «كان حاجز الجيش النظامي أحسن شيء»، يفاضل وائل بين الحواجز

فِيهِ الدِّعَاءُ عَلَى كَرَامَةِ اللّوَاهِنِ

أقصى درجات البرد



بكر صدقي

إهداء إلى المرحوم عبد الله قبارة

هل سيطر داعش على تدمر بعد قتال، أم انسحب منها النظام وسلّمها لداعش؟ هل تُدمّر داعش أو ابد تدمر الأثرية؟ وما قيمتها أمام دماء مئات آلاف القتلى؟ وأيهما أشهر: مدينة تدمر الأثرية أم سجن تدمر الرهيب؟ هذه هي الأسئلة الطافية على السطح هذه الأيام. وبمناسبة الحدث التدمري استيقظت ذكريات السوريين عن السجن الرهيب وعذابات من غابوا سنوات وراء جدرانه ومتاهاته وزنازينه، ويعدون بعشرات الأتوف منذ مطلع الثمانينات على الأقل، حين كان هذا المكان مخزناً لأجساد وأرواح تعساء شاءت الأقدار أن يقعوا بين أيدي وحوش بشرية. لا يتسع المجال هنا للكثير الذي يمكن أن يحكى عن هذا السجن الاستثنائي. سأحدث فقط عن بعض عناصره في تعريفات موجزة.

من عدد الخارجين منها).
«الشراقة» فتحاً مربعاً في سقف المهجع، يراقب منها الحراس المناوب داخل المهجع على مدار الساعة. يتمّ تبديل الحراس كل ساعتين. وقت النوم 12 ساعة إجبارية، بناوب فيها أحد السجناء ويتمّ تبديله كل ساعتين أيضاً. هذا النظام الذي يفترض أنه يغطي كامل الوقت للمراقبة الدائمة، يستخدمه بعض الحراس للتسلية. والتسلية عندهم هي التنكيل بالسجين المناوب.

التنفس: نادر الحدوث، ولا يخضع لأي انتظام. لكن الأهم من ذلك أنه غير مرغوب من السجناء، لأنه مناسبة إضافية للتنكيل بهم. من المحتمل أن يمضي وقت التنفس (ساعة أو ساعتين أو ثلاثاً، وفقاً لمزاج الحراس فوق) بسلام، أي دون عمليات تعذيب. في هذه الحالة يؤمر السجناء بالجلوس في وضعية القرفصة لصق الحائط ووجههم إليه، في صفيين متلاصقين، مغمضي العيون، محنبي الرؤوس، ممنوعين من الكلام والهمس والحركة وإصدار أي صوت. الجلوس في هذه الوضعية، أحياناً طوال ساعتين، ربما هو التعذيب الأشد وطأة. تشعر بثقل الزمن كجبل فوق ظهرك لا يتزحزح. الذهن وحده خارج المراقبة. تحاول التفكير في أشياء تبعذك عما أنت فيه، لكنك تفشل غالباً. حرارة الشمس فوق الرأس الحليق تطرد من ذهنك كل الأفكار والذكريات والصور (جلسات اليوغا الإجبارية هذه حدثت دائماً في الصيف. صيف الصحراء).

المتاع: يحتفظ السجن القادم إلى تدمر من أغراضه الشخصية بالثياب فقط. ويُعطى «عازلاً» وبطانية واحدة. ينام فوق العازل ويلتحف بالبطانية. كلاهما رقيق جداً ومهترئ، لا يقيان من برد الصحراء الرهيب في الشتاء.

بدأت رحلة مجموعتي في تدمر في الثالث من كانون الثاني، أي في عزّ الربيع. لم أجرب في حياتي برداً أشدّ قسوةً قبل ذلك ولا بعده. كان علينا «فعل شيء ما» للتخلص من ذلك البرد القاتل. ولم تكن نملك أية وسائل لفعل أي شيء، باستثناء إضافة كل ملابسنا فوق البطانية وقت النوم. الغريب أننا استطعنا النوم رغم كل ذلك البرد. وكان علينا أن نغسل بالماء البارد في وقت مبكر من الصباح. كسرنا هيبته البرد الرهيب بالاعتسال كل صباح، بعد قليل من تمارين التحمية. تحوّل الجحيم إلى عادة يومية وأصبح مقبولاً.

الباب والشراقة: هما صلتا وصلنا الوحيدتين مع

العالم الخارجي، أعني خارج المهجع. أي أنهما مصدرا الخطر والرعب الدائمين. كل فتح للباب يعني احتمال تنكيل مرتين في اليوم لاستلام الطعام، مرةً للتفتيش أي التفقد، وأحياناً للتنفس، ومرةً في الشهر للفاتورة، وأحياناً لتفتيش المهجع بحثاً عن حضريات محتملة لعملية فرار مفترضة. في الفترة التي أمضيها هناك (1996 - 1998)، كانت الإعدامات قد توقفت. أما إخلاء السبيل فهو نادر الحدوث (في عصر الأسد قاعدة عامة: عدد الداخلين إلى السجون والمعتقلات أكبر دائماً



مرّةً ضبطنا الساعة لمعرفة الزمن الذي يستغرقه استلام الطعام، من لحظة فتح الباب إلى لحظة إغلاقه. كانت النتيجة إحدى عشرة ثانية! لتقدروا «أولمبية» هذا الرقم سأقوم بوصف العملية: وقت توزيع الطعام أصبح معروفاً بصورة تقريبية. ينتظر ثلاثة «فدائيين» هم سخرة اليوم، قرب الباب وفي أيديهم طسوت بلاستيكية. حين يفتح الباب ويصدر الأمر باستلام الطعام، يقفز الثلاثة من فوق الإطار الحديدي للباب، تجنباً للتعثر به والسقوط، ويضعون الطسوت على الأرض. يسكب الباحثات (وهم سجناء من القسم العسكري للسجن، ويتصرفون مع السجناء السياسيين مثل الشرطة) الطعام في الطسوت. يصدر الشرطي الأمر بحمل الطسوت. يحملها عناصر السخرة ويدخلون المهجع. يغلق الباب. والباب ضيق، لا يمكن خروج الثلاثة منه معاً من غير اصطدام. فيخرجون فرادى ويدخلون فرادى. ولا يجوز أن يندلق شيء من الطعام على الأرض، مع العلم أن أحد الطسوت فيه غالباً مرق البندورة.

الجريدة: في زماننا، كانوا يوزعون علينا جريدة البعث كل يوم تقريباً، ولكن مع تأخيرها يوماً واحداً على الأقل من تاريخ صدورها. يقرع الشرطي على «شراقة الباب» (الطاقة الحديدية الصغيرة في باب المهجع اسمها شراقة أيضاً. وكذلك واقية المطر المصنوعة من أكياس الخبز البلاستيكية، التي يمكن رفعها وقت هطول المطر من «الشراقة» المفتوحة في السقف). يفتحها رئيس المهجع ويستلم منها الجريدة المطوية بعناية. يأمره الشرطي: حافظ عليها يا عرصا. ثم يغلق الشراقة.

نفرق الجريدة إلى ورقاتها الثلاث، ويبدأ الدور بثلاثة قراء. بعد عشر دقائق يتم التبديل. كنا نقرأ في الجريدة كل ما يتيح الوقت قبل إعادة تسليمها، مطوية بعناية ونظيفة من أي أثر، في اليوم التالي. من الأخبار وتتماتها في الصفحة 11، إلى التقارير الصحفية إلى الصفحات الثقافية والرياضية، وصولاً إلى إعلانات الوفيات.

بل كانت هذه الأخيرة تستحوذ منا على اهتمام خاص. فالزمن يمر، ومن المحتمل أن يموت أشخاص نعرفهم، ونحن معزولين عن العالم عزلة مطلقة.

الزيارات: القاعدة العامة هي الحرمان من الزيارات. لكن عدداً محدوداً من رفاق مجموعتنا تلقى زيارات بفضل وساطات أو رشى أو علاقات مفيدة. جاءت الزيارة الأولى بعد نحو سنة من وجودنا في هذا السجن، أي بعدما كنا يائسين من تلقي أية زيارة على الإطلاق. ومع الزيارة حصلنا على أول طعام «بشري» يمكن التلذذ بأكله.

التعليم: في سجن تدمر، يجرد السجين، أول ما يجرد، من اسمه وملاجه. ولا يمنح حتى رقماً بدلاً من الاسم. الشرطي يحدد السجين إما بتحديد مكانه أو بلون ملابسه، ثم يخاطب رئيس المهجع طالباً منه «تعليم» الضحية (التعليم من علامة، وليس من علم). حين يُفتح الباب في الصباح التالي يخرج المعلمون إلى الباحة ويتعرضون للتعذيب.

لا يتم التعليم بناءً على مخالفة بالضرورة، بل يمكن أن يحدث بلا سبب. بل كان يحدث أحياناً أن يسأل الشرطي رئيس المهجع عن عدد المعلمين، ويكون الجواب: لا يوجد معلمون. فيطلب الشرطي إخراج عدد من السجناء يحدده عشوائياً لتلقي التعذيب. في فترة من الفترات كان كل مهجع ملزماً بتقديم عدد من الضحايا (4-5) كل صباح. فكان الوجود المتوتر يخيم على المهجع. الرعب الصليبي المحسوس نعيشه جميعاً طوال ساعة قبل فتح الأبواب. رعب انتظار التعذيب أشد فتكاً بالروح من التعذيب نفسه. ليست هناك أية ضمانات أن تقتصر حفلة التعذيب على ألم مؤقت مهما كان فظيلاً. يمكن أن ينتهي الأمر إلى الموت أو العطب. لا ضمانات لأي شيء في تدمر.

اللغة: اللغة فقيرة فقر المكان وبدائيتها. أوامر عسكرية وجيزة وشتائم صادرة من خيال محدود ومريض. «شولون كس أمك؟» كان هذا هو السؤال الذي يقض مضجع الرقيب كاسر. المفروض أننا لا نعرف أسماء عناصر الشرطة ووجوههم. نعرف فقط أصواتهم. لكن أخطاء يربكونها كانت تكشف عن بعض الأسماء. وبعض آخر كنا نسميهم بنسبتهم إلى بلدهم: الشامي والكردي والحلي مثلاً. كانت لهجاتهم تشير إلى انتماءاتهم المحلية. لدى الكردي شتيمته واحدة: «يا منيوكة» يخاطب بها كل سجين، ذكر بالطبع. الشامي كان متعاطفاً، ربما وحده من بين جميع زملائه الوحوش. لم يؤذ أحداً بكلمة. بل حذرنا ذات مرة قائلاً بصوت خفيض: «جاء أبو رائد».

أبو رائد حمارٌ ساديٌ فظيعٌ. طوال ساعتين من التنفس كان يأمرنا بإجراء تمارين الضغط والرقصة الروسية. ويذريعت ملازمة البطن للأرض أثناء تنفيذ التمرين السادس، كان «يعلم» عدداً منا. مع العلم أن الجميع كانوا يفسلون في مواصلة تنفيذ التمرين بعد المرة العاشرة أو العشرين، حسب كل واحد.

الطعام: لاستلام الطعام طقس غريب، شرطه الأهم سرعة التنفيذ. ومع أن مهارتنا في عملية الاستلام تطورت، مع الزمن، إلى حد كبير؛ كان الشرطي يصرخ طوال الوقت: أسرع من هيك يا عرصات!

تنظيم الدولة الإسلامية يتبع سياسة العصا والجزرة لضبط الأمور في تدمر

آن برنارد وهويدا سعد / نيويورك تايمز / 28 أيار

ترجمة مأمون حليبي

بعد ساعاتٍ من اجتياح تنظيم الدولة الإسلامية لتدمر، نفّذ مقاتلوه إعداماتٍ ميدانيةً وتركوا الجثث—من بينهم العديد من جنود النظام—في الشوارع. بعد ذلك، وفقاً للسكان، شرعوا يتصرّفون وكأنّهم مسؤولو المدينة. فأصلحوا محطة الطاقة، وفتحوا مضخات المياه، وعقدوا اجتماعاتٍ مع الوجهاء المحليين، وفتحوا مخبز المدينة الوحيد وبدؤوا بتوزيع الخبز مجاناً. وعلى أعالي آثار المدينة غرسوا رايتهم. لم ينهبوا أو يدمروا هذه الآثار على الفور مثلما فعلوا في مواقع أخرى.

سيطرة هذا النظام ولم يساعدكم أحد». هذا الأمر، حسب دحام، لم يكن متوقعا. كان يخشى أن تنظيم الدولة سيعاقب تدمر لاقتراب سكانها من الغرب، هذا الاقتراب غير المتبصر للعواقب، وعلاقتهم معه. لكن لا يوجد في تدمر منافسٌ مسلحٌ معادٍ للحكومة. ربما لشعورهم أنهم مهذبون بدرجةٍ أقل، لم يقم مقاتلو التنظيم على الفور بمهاجمة النشطاء الذين يعارضونه ويعارضون الحكومة على حد سواء. أحد الناشطين قال إن لديه أقرباء من تنظيم الدولة وكان بمقدوره أن يجلس ويتكلم مع مجموعة من المقاتلين. العدد الأكبر، قال، كانوا أجانب، مع قليل من السكان المحليين وكثير من السوريين من كل أنحاء البلاد.

التنظيم. في يوم الأربعاء، على سبيل المثال، أبلغ بعض السكان أن تنظيم الدولة قتل عشرين جندياً حكومياً في المدرج الدائري القديم. آخرون تذكروا رؤية جثثٍ لجنودٍ أحرقوا أحياء أو قطعت رؤوسهم من قبل المسلحين. «لقد قتلوا الكثيرين»، يقول مالك مقهى عن التنظيم، ثم ينتقل إلى الغارات الجوية التي يحملها المسؤولية عن موت عدّة أصدقاء له: «يعلم الله ما الذي يقصفونه، الأمر مرعبٌ للغاية!». عبر البعض عن الدهشة من أن انتهاكات التنظيم ليست أسوأ حتى الآن، وفي الوقت نفسه كانوا قلقين من أن الجماعة ربما تمسك نفسها عن وحشيةٍ أشدّ سعياً وراء التأييد. «إنهم يعاملون أهالي تدمر كما لو أنّهم قد أسروا كدروع بشريةٍ من قبل النظام»، يقول أحد أبناء المدينة الذي

تلا ذلك الكثير من الضربات الجوية الحكومية، فقتل مدنيون جرّاءها، وهذا ما قدّم مساعدةً سياسيةً للتنظيم: في غضون أيام أعاد بعض السكان توجيه تركيز غضبهم وخوفهم من المسلحين على الأرض إلى الطائرات الحربية فوقهم. يناوب تنظيم الدولة الإسلامية بين ترهيب السكان واسترضائهم. فهو يستولي على المؤسسات ويحاول أن يستوعب المعارضين للحكومة، مصوراً نفسه كبطل للشعب—أو، على الأقل، كبطلٍ للسنّة—ضدّ سلطاتٍ مركزيةٍ ظالمة. ساعدت هذه الطريقة داعش على تجذير نفسها في مدينة الرقة السورية والموصل العراقية، والآن تتكشف في تدمر. تم الحديث عن سيطرة تنظيم الدولة على تدمر بالتفصيل من قبل عددٍ من السكان، من بينهم مؤيدون ومعارضون للحكومة، بالهاتف أو عبر الرسائل الإلكترونية. والجميع طلب عدم الكشف عن هويته الكاملة لتجنب الردود الانتقامية، إن كان من الحكومة أو من تنظيم الدولة. معظم هؤلاء قالوا إنهم عالقون بين تهديدات الضربات الجوية الحكومية وعمليات قطع الرؤوس أو عمليات قتل أخرى من قبل

يعيش خارج سورية ويتلقى تحديثاتٍ يوميةً من أفراد عائلته في تدمر. دحام، أحد سكان المدينة، قال إن رسالة الجماعة إلى كل الناس، باستثناء المقاتلين الموالين للحكومة، هي: «لا علاقة لنا بكم. نعرف أنكم كنتم تحت





سجن تدمر... الإسلامي

■ محمد عثمان

من المعروف أن معظم نزلاء سجن تدمر، ولا سيما منذ ثمانينيات القرن الماضي، كانوا من الإسلاميين، وتحديدًا المتهمين بالانتماء إلى جماعة الإخوان. ولكن أكثر الشهادات المتواترة عن هذا السجن لا تلقي الضوء الكافي على تيارات وكتل «المجتمع الإسلامي التدمري»، بخلاف هذا الكتاب الذي كتبه أحد المعتقلين الإخوانيين في تدمر، ونشره إلكترونيًا تحت عنوان «وأخيرًا تكلم الصامتون» باسم مستعار: عبد الله بن عبد الله.

الشخصية أو القرابة مع بعض الإخوان، وبين الانسحاق العاطفي مع الجماعة وتقديم المساعدات المادية أو سواها.

يعدّ المؤلف التيارات الإسلامية داخل السجن فيما يلي:

الإخوان المسلمون: وهم

أكثر عددًا بالطبع. وقد حملوا إلى تدمر انقسامهم السابق خارجه بين التيار الدمشقي والتيار الحلبي، وبين من كانوا يفضلون استمرار الجماعة في العمل الدعوي، سعيًا لإقامة المجتمع المسلم، وبين من رأوا أن تضيق النظام وملاحقاته واستفزازاته لم تترك مجالًا للردّ إلا بالعمل المسلح. وكان مصير معظم هؤلاء الحكم بالإعدام وتنفيذه داخل السجن.

الأكثر عددًا بالطبع. وقد حملوا إلى تدمر انقسامهم السابق خارجه بين التيار الدمشقي والتيار الحلبي، وبين من كانوا يفضلون استمرار الجماعة في العمل الدعوي، سعيًا لإقامة المجتمع المسلم، وبين من رأوا أن تضيق النظام وملاحقاته واستفزازاته لم تترك مجالًا للردّ إلا بالعمل المسلح. وكان مصير معظم هؤلاء الحكم بالإعدام وتنفيذه داخل السجن.

تيار التكفير والهجرة: وهو

أقلية كانت قد تأثرت بهذا الاتجاه الذي نشأ أصلاً في السجون المصرية، واستقطبت بعض «المتشددين والمعجبين بأنفسهم». ووصل بهم الأمر إلى درجة تكفير أي شخص لا يعرفونه بدعوى أنه لم يبايع أميرهم الذي كان يدعى بشار شوقل. وتراجع حضور هذا الفكر بعد مناقشات إخوانية طويلة، وتهديدات من إدارة السجن.

التيار السلفي: الذي كان

يعمل على نشر أفكاره العقديّة والفقهية في سورية، بالوسائل السلمية البحتة، دون اهتمام بالجوانب الحركية أو السياسية. ولكن ما أدى إلى اعتقادهم هو أن بعضهم كان على صلة بالإخوان أو ببعض رجالاتهم، أو أن حال البلد دفعته إلى الإعلان عن موقف مما يجري. ويصف المؤلف أبناء هذا التيار بالغلوّ الذي دفع بعضهم -عند انقلابه- إلى تيارات «خطيرة» كتيار القرآنيين، أو إعلان الكفر بالإسلام كله.

كانت هذه التيارات تتحاور وتتصارع. وشهدت السنوات الطويلة تحولات طالت الكثير من الأفراد بين هذا التوجّه الإسلامي أو ذاك، رغم التضيق الشديد المعروف على كل مناحي الحياة، والذي كان أقسى بكثير حين يتعلق الأمر بالشعائر الإسلامية. فلم يكن هناك تساهل تجاه الصلاة إطلاقاً. ووصل أمر منعها أحياناً إلى درجة معاقبة من يجلس جلسة الصلاة ولو كان متوجّهاً إلى غير القبلة.

التيار الصوفي: وكان وقت

أبنائه موزعاً بين الأوراد الخاصّة وقراءة القرآن، وبين النقاش الحادّ مع السلفيين، الذي كثيراً ما تحوّل إلى شجار وعداوة. أما ما أتى بهم إلى السجن فتراوح بين العلاقة

كان طلبهم الوحيد هو أن يتخلص من سيكارتة، قائلين إن بوسعه أن يدخل في منزله وليس أمام المأذون. تحاول داعش أن تظهر شيئاً من اللين، يقول هذا الناشط. «لكني لا أعلم إلى متى سيدوم ذلك». عندما سُئل عن نظرة السكان للتنظيم أجاب أن المدنيين لم يكن لديهم إلا خيار الخضوع. «لا يستطيعون فعل شيء. لدينا عدد قليل يناصرون داعش لأن أبناءهم معها». أما علي، وهو ضابط أمن حكومي، فقد حكى قصةً مختلفة. فهو يقول إن بعض السكان ساعدوا داعش. كان قد خدم لسنوات في تدمر وفرّ الأسبوع الماضي «بسلاحي فقط، دون ملابس، بلا شيء. لم يتعاون المدنيون معنا. كيف تتوقع من الحكومة أن تعمل إن كان قناص يستخدم بيتك وأنت لا تقوم بإبلاغ الجيش؟». أفراد العائلات البارزة يجرون حساباتهم بخصوص جهة إعطاء الولاء. مدير متحف تدمر، وهو موال للحكومة، هرب. أحد أقربائه قتل. قريب آخر له بايع داعش.

في خطب بُثت من مآذن المساجد أمرت داعش السكان بتسليم الجنود المختبئين في بيوتهم. كذلك وزعت جلايب سوداء فضفاضة على المحلات، قائلة إن على النساء أن يرتدينها. حتى الآن، يبدو أن داعش أعطت الأولوية لجعل تدمر مركزاً متقدماً للخلافة التي تدعيها، وليس للإيذاء أو النهب الفوري لأثار المدينة. يوم الأربعاء، في بث إذاعي، قدّم أحد قادة الجماعة في تدمر معالم الخطط: الأثار «لن يلحقها الضرر، إن شاء الله. لن نمسها ببلدورزاتنا كما يميل البعض للاعتقاد». لكنه قال إن المقاتلين سيحطمون التماثيل «التي كان الكفار يعبدونها في الماضي».



عن داعش وتدمير وسجنها

عمر الباشا ■

«الدولة» التي تحب الرعايا

على خلاف سيرتها المعتادة، خيّبت داعش توقعات ومخاوف متابعي أخبار سيطرتها على تدمر. فلم تسلك في هذه المدينة على مجرى أدائها الوحشي الذي بات مشتهراً، والذي كان يجري على قدم وساق في مجازر يومية حصدت عشرات الشبان في دير الزور، بتهم التأمير على التنظيم أو الانتماء إلى الجيش الحر أو العمالة للنظام، في الوقت نفسه الذي كانت داعش تقتحم فيه تدمر، وتقتل «الأعداء المشروعين» في أي عمل حربي، من جنود النظام وعناصر دفاعه الوطني ومخبريه، ثم تتوقف بعد غلبة الظن بانتهاء هؤلاء، وتدعو الناس إلى العودة إلى حياتهم الطبيعية والخروج إلى أعمالهم و«أرزاقهم»، بينما ينشغل التنظيم بإعادة ضخ المياه وتشغيل شبكة الكهرباء واستقدام الخضار من الرقّة.

ولكن الأمر الذي غاب عن أذهان المتوقعين والمتخوفين، وأدى إلى استغرابهم من هذا السلوك الداعشي الهادئ نسبياً، وإلى تبنيهم روايات غير صحيحة عن قيام التنظيم بمجازر في حق المدنيين -وهو الأمر الذي نفضته تنسيقية تدمر-؛ هو أن هذه المدينة هي أول تجمع سكاني كبير يستخلصه التنظيم من النظام مباشرة، بعد طول تحرير للمحرر، وقضم مساحة ما يسيطر عليه الجيش الحر والكتائب الإسلامية ويشيع فيه نمط حياة الثورة.

هناك، حيث الحواضن الثورية، تشتغل مجسّات داعش الأمنية بأقصى درجات الطاقة والحذر، فالأرض مليئة بالأعداء؛ من مقاتلين وإعلاميين وناشطين مدنيين وخدميين وصحيين... إلخ. كل هؤلاء أعداء داعش التي تكره الثورة أكثر مما تكره النظام، والأدلة على ذلك كثيرة. يستقيم مع داعش أكثر أن «تستلم» شعباً من الرعايا، لم يخرجوا من قمقم القمع إلى آفاق الحرية، وما عليهم سوى أن يستبدلوا قمعاً بقمع، وأن يخلعوا قالب «الإخوة المواطنين» ويرتدوا عباءة «عوام المسلمين»، ويخرجوا إلى أرزاقهم وأعمالهم ومعايشهم!



الحيوانات الموجودة في الحديقة (النعامة)

من إصدارات التنظيم في تدمر

فلو كان هذا التبرير صحيحاً لكانت فروع الأجهزة الأمنية -في الرقّة، مثلاً- قد سبقت السجن إلى مصيره المتناثر في الهواء. والحال أن هذه المباني صارت مقرات ومحاكم وسجوناً للتنظيم، ولم تختلف عليها الوظيفة بل الإدارة. تماماً كما تريد داعش من أهالي تدمر.

وبالفعل، لا يحتاج التنظيم إلى سجن كبير ومستدام كهذا، بل إلى محطات توقيف صغيرة سرعان ما يغادرها معظم نزلائها إلى سكاكين وسواطير الإعدام والصلب وتعليق الرؤوس في الساحات. سخيف ومؤلم أن نضطر إلى المقارنة بين إعدام حافض الأسد، الذي شهد سجن تدمر أيام ذروته في عهده، وبين إعدام داعش. ولكن، على الأقل، خرج من سجن تدمر الرهيب آلاف من ثبتت عليهم تهمة الانتماء إلى أحزاب سرية مناوئة، وبعضهم الآن من أركان الثورة أو المعارضة السياسية، فيما تقتل داعش من تهمة بإحراق بقايا سيارة للحسبة كانت قد انقلبت وصارت ركاباً على جنب الطريق!

لا تأبه داعش لعذابات من قضوا في سجن تدمر السنوات الطوال في ظروف لا تصدق من القمع، لأنها لو قبضت عليهم لقتلتهم بتهمة الردّة، وهي تهمة توجب القتل لدى التنظيم بشكل أولى من تهمة الكفر التي تطال السجّانين!

السجن الذي لن تحتاج إليه داعش

لا ذاكرة للتنظيم مع سجن تدمر. بخلاف جبل السرة الوطيد الذي يصله بسجن بوكا وسواه من السجون العراقية، وسجن سيدنايا السوري بدرجة أقل. فالأغلبية الساحقة من نزلاء تدمر هم أعداء التنظيم، من إخوان مسلمين أو يساريين. وإذا كان السوريون قد تفاعلوا بشكل واسع مع سقوط هذا السجن الرهيب -على خلاف بينهم حول الموقف من الجهة التي أسقطته- فقد كان موقف داعش شديد البرود تجاه هذا الموضوع. نشرت أولاً بضع صور، ثم بثت جولة لدقائق معدودة في السجن العسكري الخاص بالمجندين الفارين والمخالفين لأنظمة الجيش أساساً، لا السياسي الذي ينصرف إليه المعنى عند الحديث عن سجن تدمر. وعلى خلاف الاحتفاء البصري والعنانية الإبهارية المقصودة للتنظيم في كل حركاته وسكناته مهما ضوّلت أهميتها، جاء التصوير داخل السجن متسرعاً ويفتقر إلى الحد الأدنى من الاهتمام. وأخيراً، فجرت داعش السجن! هكذا ببساطة. دون حتى أن تعلن أنها فعلت ذلك لأنه «رمز للقمع والمهانة البشرية»، كما يحاول بعض داعشيين الهوى من المحللين والكتاب والفيسبوكيين أن يبرروا، دون توكيل من التنظيم، بل تبرعاً من عند أنفسهم وتبعيةً للجنون.



لويين رايحين بعد أريحا؟

سنوات عديدة لا بد أن نمنى فيها بعشرات الانكسارات» بحسب ما جاء في جوابه. و بعد هذا التشخيص المفصل، و الجديد بلا شك على أسمع المؤيدين، كان لا بد للواء الخرف أن يصف الترياق النفسى المناسب لأولئك المعتوهين والمهزومين في داخلهم: «علينا أن نقوم بتصعيد المرارة والغضب عند الانكسارات، إلى إيمان مُطلق بِحتمية النصر، بدلاً من النواح والعيول وتثبيط الهمم..»

على غير العادة أيضاً، لم يحظ أبو المجد و«خاطرته» تلك بالكثير من المصدقين. فباستثناء ابنه حيدرة، الذي ينتمي إلى فصيلة باتت نادرة وغريبة الآن في إصرارها على أن ما يحدث ليس إلا كذبا، وأن الجيش سيعود إلى أدلب وجسر الشغور وأريحا وغيرها من المناطق؛ لم يكثر أحد بهذا الكلام. فيما يستطيع المتابع بسهولة ملاحظة توقف العديد من المواقع والصفحات الإخبارية التشبيحية عن العمل، بعد أن هجر الكثير من أصحابها منابرهم إثر توالي الهزائم والانهيئات وشتائم أهالي القتلى، تاركين معلقهم يتساءلون بحسرة... لويين رايحين بعد أريحا؟

طرح عليه، وليعنون به تدوينته الحذقة «لويين رايحين بعد أريحا؟» قائلاً: «ذاهبون إلى النصر المؤكد». وإذا كان التساؤل في حد ذاته اعترافاً من لواء ورئيس سابق لفرع المخابرات 251، لم يعتد إلا على التبجح بقدرات نظامه وجيشه وميليشياته، فإن الجواب المباشر لا يحيل إلى محاولة العجز الأسدّي انتشار معنويات الشبيحة - التي لمس تداعياها عنده وعند من حوله- وحسب، بل يشير في تفاصيله إلى رغبة الجنرال السابق في إعدام الهاربين من السفينة الأسدية الغارقة قبل أن يبقى عارياً ووحيداً على متنها، مستخدماً «رؤيته» السياسية والعسكرية هذياناً بالأدلة الملمة ذاتها تارة، ومهدداً المستشعرين بقرب النهاية تارة أخرى، ليحاول إقناع أحد ممن بقي. فالذي حصل معروف لديه: «ما صار أكثر وضوحاً من الشمس في رابعة النهار، إلا للمعتوهين، وللمهزومين في داخلهم، وللاحقدين المأفونين، بأننا في الجمهورية العربية السورية نواجه حرباً عالمية ثالثة، يُديرها الحلف الأطلسي «أمريكا وأوروبا وتركيا» ونواجه أكثر من نصف العالم في حرب غير مسبوق في التاريخ لا بد أن تدوم

هذه المرة، لم يجد شبيحة النظام وموالوه أية مبررات مقنعة لاندحار جيشهم في أريحا بهذه السرعة والكيفية، خاصة بعد ما حدث في جسر الشغور ومشافها قبل أسبوع. وإذا كانت كذبة الانسحاب المزعوم من المشفى قد انطلت على بعض مرضى الإنكار، فإنه، وعلى عكس المعتاد، عجزت معظم مواقع وصفحات رفع المعنويات الشهيرة عن تقديم أية حجج مقنعة لهزيمة أريحا، حتى تلك الملائمة للعقل التشبيحي. واكتفت بنقل خبر الانسحابات المتتالية كما وردت من مصادر النظام الرسمية، وسط سيول من التعليقات المتخبطة والمصدومة بالهزيمة، لتشكل عاصفة من التسلية والسخرية في أوساط الثورة، مثلما فعلت مشاهد سباقات ركض جنود الأسد المتكررة مؤخراً. وفي ضوء كل هذا، من يستطيع أن يأتي على ذكر نصر الجيش العربي السوري وخرافات قدراته وذكاء قيادته وحكمتها بعد الآن؟

من قعر بئر الهزيمة الأسدية وصمتها خرج بهجت سليمان، أحد وجهاء الخرف الأسدّي، والسفير المطرود من الأردن؛ ليحجج عن التساؤل الذي ادعى أنه



مجلة عين المدينة نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

3ayn-almadina.com
info@3ayn-almadina.com

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

@3aynAlmadina

/3aynAlmadina

أريحا حرة

